مجلة تراث الزيبان المجلد 04/ العدد 2019/01م/ ص ص. 103-113.
E-ISSN: 3088-7763 ISSN: 2716-8468

صيانة الفسيفساء جزء من الحفاظ على المواقع الأثرية

L'entretien des mosaïques fait partie de la préservation des sites archéologiques.

ط.د./ رزّيـق عبد الرحمان

معهد الآثار، جامعة الجزائر2.

البريد الالكتروني: rezzikabdo.35@gmail.com

الملخص:

تعد الفسيفساء من أهم المخلفات الأثرية التي يمكن أن تكون في موقع أثري، لاعتبارها مصدر مهم ووثيقة حية تروي جوانب عدة من الماضي من خلال ما تحمله من زخارف، ورموز، وأشكال هندسية ونباتية وصور تمثيلية عالية الدقة، حيث لها وظيفة هندسية معمارية وفنية تزيينية للمرافق العامة والخاصة من العمارات القديمة، مما يمنح لها قيمة أثرية، وتاريخية، وجمالية وندرة في تواجدها، وهذا ما يستدعي المحافظة عليها وصيانتها وترميمها من أجل الإطالة من عمرها لأطول مدة ممكنة واستغلالها أحسن استغلال، ومواقعنا تحتوي على كم هائل من التبليطات الفسيفسائية المهمة، وحالتها تستدعي العناية والتدخل من جراء حالة حفظها والظروف السائدة بمواقع تواجدها.

الكلمات المفتاحية: الفسيفساء، المحافظة، الصيانة والترميم، المواقع.

Résumé :

La mosaïque est l'une des artefacts qui caractérise un site archéologique, vu son importance sur le plan architecturale, artistique, et historique. Cette importance nous incite à la prendre en charge par la consolidation, maintenance et restauration, pour la délivrer aux générations futures, soit in situ, ou la déposer dans des musées.

Mots clés : mosaïque, préservation, maintenance et restauration, sites.

تدخل الفسيفساء ضمن المخلفات الأثرية التي تحمل أهمية كبيرة كموروث ثقافي فني قيم من خلال ما تحمله من أشكال (نباتية، وهندسية)، وتمثيلات (حيوانية، وصور آدمية) وألوان مختلفة متقاربة ومتباعدة الدرجات، كما تحمل كتابات ورموز عديدة لها أهمية كبيرة، ولهذا جاءت هذه الورقة البحثية بموضوع يبين ما ذكر مع توضيح الأهمية الكبيرة للصيانة والمحافظة على الفسيفساء بالمواقع الأثرية الجزائرية سواء المحمية أو غير المحمية، لكونها جزء هام في صناعة صورة مميزة عن التراث الأثري القديم، في العديد من المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، لكن رغم كل الأهمية الذي يكتسيها هذا النوع من الآثار، إلا أن العديد من المواقع الأثرية التي تحتوي على الفسيفساء في حالة حفظ سيئة أو تعاني من عوامل التلف المختلفة، والفسيفساء بدورها كذلك يظهر عليها كل مظاهر التلف البيولوجية، والميكانيكية، والكيميائية...، وذلك راجع إلى نظام التسيير واستغلال المواقع من جهة، ومن جهة أخرى بسبب الإمكانيات المتاحة والمتوفرة، وكذا طرق الحفظ الحديثة غير المستعملة، ولذلك يعتبر الحفاظ على فسيفساء المواقع جزء من المحافظة على المواقع الأثرية التي تحتوي على هذا النوع من الآثار، ولأهمية هذه الأخيرة ارتأينا إلى اقتراح بعض الحلول التي يمكن أن تساعد في حماية الفسيفساء في المواقع وصيانتها وكذا استغلالها أحسن استغلال ورد الاعتبار لها.

1- أهمية الفسيفساء في المواقع الأثرية:

- أهمية تاريخية، وذلك ما تعكسه من خلال الفترات التاريخية التي تعود إليها الفسيفساء، وكذا ما تحمله من مشاهد، وصور، وأشكال وألوان... الخ.

- أهمية هندسية ومعمارية فالفسيفساء فن مرتبط أساسا بالعمارة، حيث يندرج مع هندسة البنايات، بحيث هي بمثابة تبليطات أو تكسيات لجدران، وأرصفة وأروقة، وبنايات عمومية وخاصة...، وتنجز على طبقات تحضيرية مختلفة السمك، واللون، والمكونات.

- أهمية فنية جمالية من خلال محمولات ومدلولات ما تحتويها الفسيفساء، لتزيين جدران وأرضيات المباني العمومية والخاصة والأرصفة وكل هذا يجعلها عنصر هاما في المواقع الأثرية.

2- التعامل مع الفسيفساء في المواقع:

- عدم الاقتلاع (الرفع): بالتغطية وإعادة الرد أو بعدم الردم.

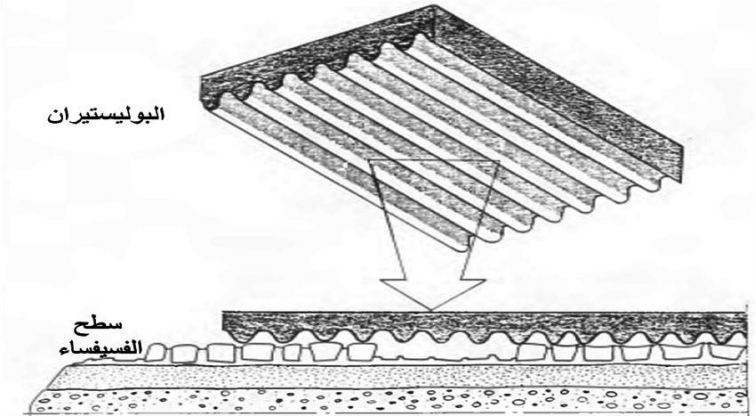
- الاقتلاع (الرفع): نقلها إلى سند جديد ووضعها في مكانها الأصلي (متماسك مع البناء) أو اقتلاعها ونقلها إلى سند جديد منفصل عن البناء أو اقتلاع جزء ونقله إلى سند جديد إما منفصل عن البناء أو متماسك.

- الاقتلاع ونقلها إلى المخزن[1].

3- أعمال الصيانة والترميم:

- التدخلات الأوّلية أو الطارئة:

يتمثل الهدف من معالجات الأولية فقط في تثبيت أجزاء الفسيفساء المهدّدة بخطر الفقدان الفوري، في انتظار التمكن من التدخّل في إطار برنامج معالجة متكامل، وتشتمل هذه العناية الأوّليّة عموما على عمليات حماية مؤقتة لحافّات الفسيفساء مرفقة بأعمال تثبيت لأمكنة محددة. وهي تتم عموما خلال فترة زمنية قصيرة، عندما يتم اكتشاف فسيفساء للمرّة الأولى أثناء حفريات أثريّة أو في نطاق أشغال البناء، أو عندما تتعرّض فسيفساء تم اكتشافها حديثاً لأضرار فجائية، أو عندما تعاني من فترة إهمال طويلة، كما ينبغي توثيق المعالجات الطارئة غير أنه ينبغي الإسراع في إجراء التوثيق[2].



الشكل 01: تغطية للحماية من الجليد. عن:.ICCROM, 1980, p. 17



الصورة 01: تغطية لفسيفساء أرضية، عن: DEMETRIOS, M. ; NIKI, S., 2005, p. 216.

[1]- ICCROM, 1980, p. 13.

[2]- ليفيا (ألبيرتي)، وآخرون، 2013م ب، ص. 87.

- الصيانة الوقائية (الصيانة على المدى البعيد):

هي مجوعة من الأعمال التي تهدف إلى زيادة عمر الأثر[3]، السليمة أو المتلفة من أجل تقليص وتقليل عوامل التدهور والضياع للمجموعات بالتدخل على المحيط الذي يحويها[4].

عموما تشمل أعمال الصيانة والترميم في التنظيف وإزالة المظاهر البيولوجية والأملاح ، بالإضافة إلى التدخلات بالملاط ومكوناته (الثغرات، والشقوق، والفجوات، والحواف، والإسناد...الخ) هذا من جهة، أما من جهة الصيانة على المدى البعيد، فعملية التغطية (**الشكل 01، الصورة 01**) وإعادة الردم (موسمية أو دائمة) (**الصورة 02**) مهمتان في عملية الصيانة لكونهما تساعدان في حماية الفسيفساء من التقلبات الجوية المباشرة ومن مظاهر التلف المختلفة.

- الصيانة العلاجية (الترميم): مجموع التدخلات على الفسيفساء بهدف ضمان صيانة من لحظة اكتشافها إلى تغيراتها، ويمكن إدراج المصلح لمجموع مختلف قيم الحماية المأخوذة فيما تتعلق بفسيفساء الموقع، ومختلف العمليات، والاقتلاع، والتقوية، والتحويل، وإصلاح الفجوات، واستكمال النقائص، وعرضها في المكان جديد أو الأصلي[5].



الصورة 02: إعادة ردم، عن: FERDI, S., 2017, p. 484.

3- LUC, R., « Les réserves : stockage passif ou pôle valorisation de patrimoine ? », in La lettre de L'OCIM, 65, 1999, p. 28.

4- FRANÇOISE, B., Actualité des pratiques de la conservation – restauration en France et en Europe, APCRFE-PACA, France, 15 octobre 2009, p. 23.

5- CAPUCINE, L., La conservation des mosaïques: découverte et sauvegarde d'un patrimoine (France, 1800-1914), Rennes, 2009, pp. 16, 17.

– **الصيانة الدورية:** هي العملية الدورية التي تتم من أجل المحافظة على ما تم ترميمه وفحص مدى نجاح عملية الترميم التي أجريت وذلك لتفادي عودة عوامل التلف[6]، والقيام بمراقبة حالات التذبذب الدائم والتعرض على لأعراض التدهور النامي، مع ملاحظة التغيير الذي تم التعرف عليه، والبحث عن أسبابه والتحرك على ضوء ذلك[7].

4- العرض المناسب للفسيفساء في المواقع: تقوم على العديد من العمليات:

- الإسناد المناسب.
- إقامة ممرات فوق الفسيفساء ومنفصلة عنها.
- لوحات توجيهية لمسار العرض.
- بطاقات تعريفية، نبذة تاريخية عن كل فسيفساء.
- إنجاز قنوات وبالوعات لصرف المياه عن سطح الفسيفساء (**الصورة 03، 04**).





الصورة 03، 04: نظام صرف المياه بالبالوعة ومجرى للصرف. عن: ليفيا ألبارتي، وآخرون، 2013م أ، ص. 31.

[6]- حواري، واصف رزق، 2000م، ص. 79.

[7]- ماري، ك-ب.، 2002م، ص. 434.

دراسة تشخيصية لفسيفساء بعض المواقع بالجزائر (الصورة 05، إلى 16):

تحتوي المواقع الأثرية الجزائرية على عدد كبير من اللوحات الفسيفسائية موزعة على المرافق العمومية كالحمامات، والفوروم، والبازيليكات... والمرافق الخاصة مثل المنازل، وحسب إحصائيات الهيئة الدولية لصيانة وترميم الفسيفساء التي أجرتها سنة 2010م، بلغ مساحة التبليطات في الجزائر[8] 4375 م^2 والعدد ما زال في تزايد مستمر بتزايد الاكتشافات. لكن يقابلها ذلك اندثار وتدهور لمجموعة كبيرة منها، وعلى



الصورة 05: فسيفساء على سند منفصل من الاسمنت بساحة متحف الأصنام. عن: رزيق عبد الرحمان.





الصورة 06، 07: فسيفساء على سند ثابت من الاسمنت بساحة متحف شرشال الجديد. عن: رزيق عبد الرحمان.

[8]- حمزة، م. ش.، 2011م-2012م، ص. 44.

سبيل المثال عملية التخريب العمدي قصد السرقة الذي تعرض لها موقع لامباز في السنوات الماضية، بالإضافة إلى ذلك حالة الحفظ والتسيير التي تتماشى عليه مواقعنا الأثرية عامة والفسيفساء خاصة.





الصورة 08، 09: فسيفساء على سند أصلي معروضة على عمود وحجارة بموقع الحمامات الغربية بشرشال. عن: رزيق عبد الرحمان.



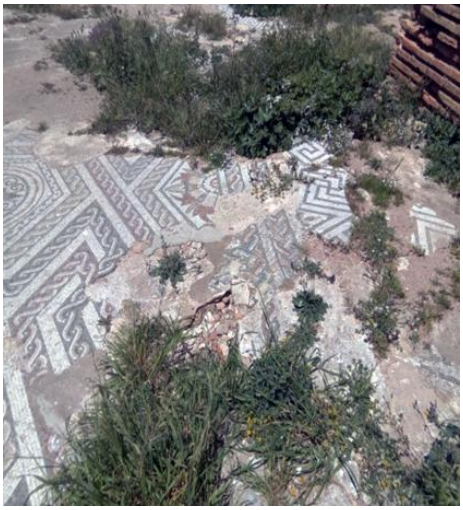
الصورة 10: فسيفساء في مكانها الأصلي وبها أثر تجمع الماء بالموقع الأثري بتيبازة. عن: رزيق عبد الرحمان.



الصورة 11: فسيفساء على سندها الأصلي تعرضت لهبوط السند بالبازيليكا المسيحية بشرشال. عن: رزيق عبد الرحمان.



الصورة 12: طريقة جمع مكعبات الفسيفساء المقتلعة من مكانها الأصلي وتركها بالموقع- الحمامات الغربية بشرشال. عن: رزيق عبد الرحمان.



الصورة 13: صور لمظاهر التلف لفسيفساء الحمامات الغربية بشرشال. عن: رزيق عبد الرحمان.



الصورة 14: تمثل مظاهر التلف لفسيفساء موقع الأثري جميلة. عن: رزيق عبد الرحمان.



الصورة 15: توضح تدخل الانسان في تلف الفسيفساء بالتبول على سطحها بالموقع الاثري جميلة. عن: رزيق عبد الرحمان.



الصورة 16: توضح طريقة ترميم خاطئة معتمدة على الاسمنت بموقع جميلة الأثري، عن: رزيق عبد الرحمان.

ولقد لاحظنا من زيارتنا لهذه المواقع الأثرية أن جميع اللوحات الفسيفسائية تخلوا من أي بطاقات تعريفية، لوحات توجيه، أو مسار جانبي يساعد على تفادي المشي فوق اللوحات خاصة الهشة والفاقدة للمكعبات.

الخاتمة:

وكخلاصة لهذه الورقة البحثية، الفسيفساء عنصر معماري فني وهندسي هام في المواقع الأثرية وجب المحافظة عليها، وخاصة أن تلفها غير رجعي ومختلف مقارنة بالعناصر الأخرى، بحسب مواد صنعها، لكن حالات بعض اللوحات المتواجدة في مواقعنا باختلاف مناخها كجميلة بسطيف، أو شرشال وتيبازة غير مستقرة تماما، بل في حالات جد متقدمة من التلف وفي تطور مستمر على هذه الحالة، وعليه نقوم بتقديم مجموعة من الحلول والمقترحات التي يمكن أن تساعد في المحافظة والتقليل من الأضرار الممكنة:

– تدريب وتوجيه العمال والقائمين على تسيير المواقع الأثرية، في طرق المحافظة وحماية الفسيفساء بالموقع، مع تكوين أخصائيين في المجال والقيام لهم بدورات احترافية وخبراتية، لكي يتم الاستفادة من العدد والخبرة في مجال الحفاظ على الفسيفساء والمواقع بحد سواء وكذا استغلالها أحسن استغلال.

– تكثيف الجهود والتعاون على الخروج بالحلول المناسبة من طرف الباحثين، والبحث في الحلول الممكنة لحل مشكلة الصيانة والترميم بالنسبة لفسيفساء المواقع خاصة المتلفة، وكذا تدعيم المالي والمعنوي لهذه الفئة التي هي المهمة للقيام بالدراسات للحالات الفسيفساء، ونشر النتائج الموجهة للتطبيق على مستوى ميدان الصيانة والترميم وحماية المواقع والفسيفساء التي يحتويها.

– توزيع المطويات والإرشادات على كيفية التعامل مع الفسيفساء من طرف الزوار لتفادي إلحاق الضرر بها، وهذا ما إلتمسناه من خلال زيارتنا لبعض المواقع الأثرية .

– العرض الجيد، جزء من المحافظة مثل المسار، والتوثيق، والتوعية والتحسيس، وتوجيه الزوار وتأطيرهم أجل تفادي إتلاف اللوحات الفسيفسائية.

– استعمال التقنيات الحديثة في الصيانة والترميم والتقيد بتوصيات الهيأة الدولية للمحافظة على الفسيفساء، كاستعمال نخاريب النحل كإسناد، والملاط الهيدروليكي، والاعتماد على مسحوق الرخام والآجر لكونه مستعمل في إعداد الفسيفساء، مع استعمال الراتيجات المناسبة، وكذا الاستغناء عن استعمال الإسمنت.

– التقيد بالصيانة الوقائية والدورية والصيانة على المدى البعيد والاعتماد على التغطية الموسمية والدائمة وكذا تقنية الردم، لكونها مهمتين في المحافظة على الفسيفساء في الموقع من العوامل الطبيعية المختلفة والبشرية.

قائمة البيبليوغرافيا:

1. ألبارتي، ليفيا؛ وآخرون، 2013م أ، المسرد اللغوي المصور لتدريب الفنيين على صيانة الفسيفساء في موقعها الأصلي، معهد جيتي للترميم – المعهد الوطني للتراث، تونس.
2. ألبارتي، ليفيا؛ وآخرون، 2013م ب، تدريب الفنيين على صيانة الفسيفساء في موقعها الأصلي، ترجمة: عدنان الوحيشي، معهد جيتي للترميم والمعهد الوطني للتراث، تونس.
3. حمزة، م. ش.، 2011م–2012م، "فسيفساء موريطانيا القيصرية–التبليطات الجنائزية–، دراسة تحليلية تقنية وفنية"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة غير منشورة، جامعة الجزائر2، معهد الآثار.
4. حواري، واصف رزق، 2000م، "صيانة وترميم الأرضيات الفسيفسائية في كنائس البدية –دراسة نظرية تحليلية–"، مذكرة ماجستير في علم الآثار–العلوم التطبيقية– غير منشورة، جامعة اليرموك.
5. ماري، ك–ب.، 2002م، الحفظ في علم الآثار، الطرق والأساليب العلمية لحفظ وترميم المقتنيات الأثرية، ترجمة: محمد أحمد (ش)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.
6. CAPUCINE, L., 2009, La conservation des mosaïques: découverte et sauvegarde d'un patrimoine (France, 1800-1914), Rennes.
7. DEMETRIOS, M. ; NIKI, S., 2005, « Lessons not learned : the shelters at kourion, Cyprus », in Lessons Learned : reflecting on the theory and practice of mosaic conservation, the 9th conference of the international committee for the conservation of mosaics, Hammamet, Tunisia.
8. FERDI, S., 2017, «La mosaïque du Khroub (Constantine- Algérie), découverte et sauvegarde», in Managing archaeological sites with mosaics from real problems to practical solutions, The 11Th conference of international committee for the conservation of mosaics, Meknes, October 24-27. 2011, Edifier-Edizioni Firenze.
9. FRANÇOISE, B., 2009, Actualité des pratiques de la conservation – restauration en France et en Europe, APCRFE-PACA, France, 15 octobre.
10. ICCROM, 1980, Sauvegarde, Mosaïque N°2, Carthage, 1978, Perigueux.
11. LUC, R., 1999, « Les réserves : stockage passif ou pôle valorisation de patrimoine ? », in La lettre de L'OCIM, 65.